دار الشروق

جحا

٢

بقلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين

جحا والقاضي

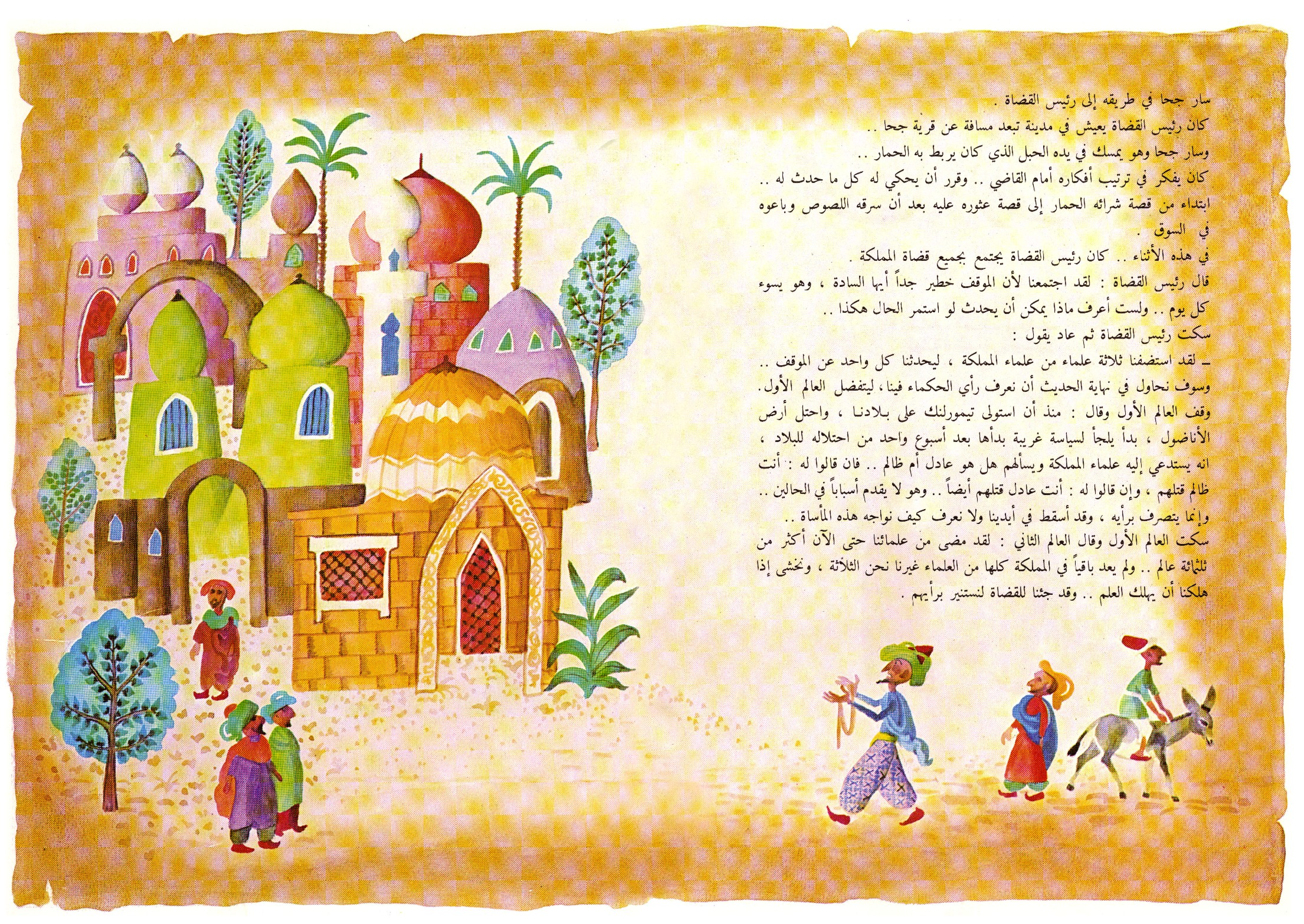
جحا والقاضي

بقلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين



بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥ - ٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤
ص.ب : ٨٠٦٤ - برقياً : داشروق - تلكس LE ٢٠١٧٥ SHOROK

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ت : ٣٩٢٩٣٣٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ - تلكس SHROK UN ٩٣٠٩١
٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر. ت : ٢٦٣٣٩٨
٢٦٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧



سار جحا في طريقه إلى رئيس القضاة .

كان رئيس القضاة يعيش في مدينة تبعد مسافة عن قرية جحا ..

وسار جحا وهو يمسك في يده الحبل الذي كان يربط به الحمار ..

كان يفكر في ترتيب أفكاره أمام القاضي .. وقرر أن يحكي له كل ما حدث له .. ابتداء من قصة شرائه الحمار إلى قصة عثوره عليه بعد أن سرقه اللصوص وباعوه في السوق .

في هذه الأثناء .. كان رئيس القضاة يجتمع بجميع قضاة المملكة .

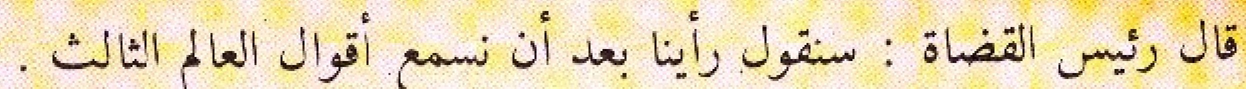
قال رئيس القضاة : لقد اجتمعنا لأن الموقف خطير جداً أيها السادة ، وهو يسوء كل يوم .. ولست أعرف ماذا يمكن أن يحدث لو استمر الحال هكذا ..

سكت رئيس القضاة ثم عاد يقول :

ـ لقد استضفنا ثلاثة علماء من علماء المملكة ، ليحدثنا كل واحد عن الموقف .. وسوف نحاول في نهاية الحديث أن نعرف رأي الحكماء فينا ، ليتفضل العالم الأول.

وقف العالم الأول وقال : منذ أن استولى تيمورلنك على بلادنا ، واحتل أرض الأناضول ، بدأ يلجأ لسياسة غريبة بدأها بعد أسبوع واحد من احتلاله للبلاد ، انه يستدعي إليه علماء المملكة ويسألهم هل هو عادل أم ظالم .. فان قالوا له : أنت ظالم قتلهم ، وإن قالوا له : أنت عادل قتلهم أيضاً .. وهو لا يقدم أسباباً في الحالين .. وإنما يتصرف برأيه ، وقد أسقط في أيدينا ولا نعرف كيف نواجه هذه المأساة ..

سكت العالم الأول وقال العالم الثاني : لقد مضى من علمائنا حتى الآن أكثر من ثلثمائة عالم .. ولم يعد باقياً في المملكة كلها من العلماء غيرنا نحن الثلاثة ، ونخشى إذا هلكنا أن يهلك العلم .. وقد جئنا للقضاة لنستنير برأيهم .


قال رئيس القضاة : سنقول رأينا بعد أن نسمع أقوال العالم الثالث .

كان العالم الثالث قد نعس ، كان رجلاً عجوزاً ، لحيته بيضاء وشعره كالثلج ، وأيقظوه من نعاسه ، فاعتدل وقال :

– أعذروني إذا لم أقف أيها السادة ، فقد وهن العظم مني وكبرت في السن .. إنني أنام كثيراً هذه الأيام لأنني أحس أن نهايتي تقترب . إن تيمورلنك ينفذ خطة لاستعمار هذه الأمة إلى الأبد ، ولهذا يتخلص من علمائها ، فالعلماء في كل أمة هم روح الأمة وشمسها ، فإذا ضاع العلماء أظلمت الدنيا وغابت الشمس .

سكت العالم فسأله رئيس القضاة :

– سمعنا أن تيمورلنك يمتحن العلماء بالأسئلة .. لماذا يفعل ذلك ؟

قال العالم الشيخ : إنه يفعل ذلك لإحراجهم وإثبات جهلهم . لقد سأل أحد العلماء في أي برج ولد ، وسأل عالماً آخر ما هو الشيء الذي تستطيع أن تفعله أنت ولا أستطيع أن أفعله أنا .. وقد سمعنا أنه يسأل أسئلة عجيبة ، وسمعنا أنه يعذب العلماء فيوقفهم أمام جدار في قصره ويصوب على عمائمهم بالسهام ، وقد انحرف سهم ودخل في رأس عالم من أفضل علمائنا عليه رحمة الله ..

سكت الجميع عند هذا الحد ، واستمر الصمت فترة ثم قطعه شيخ القضاة قائلاً :

ماذا نفعل في هذا الموضوع ؟؟ دعونا نفكر أيها السادة .. كيف نوقف تيمورلنك عند حده ؟ وكيف ننقذ هؤلاء العلماء الثلاثة ؟ ثم كيف ننقذ أنفسنا أيضاً ؟ إن الدور على القضاة بعد العلماء ، ثم يأتي دور الأدباء ، وهكذا حتى ينتهي تيمورلنك من كل أصحاب الفضل والرأي في المملكة ، ولا يبقى أمامه من يعارض .. والآن فكروا أيها السادة بعمق في الموضوع ودعونا نعرف رأيكم .

أحنى القضاة والعلماء رؤوسهم وراحوا يفكرون بعمق .. وفي هذه اللحظة كان جحا قد وصل إلى باب القاضي وهو يصيح ويزعق ويتكلم ويتشاجر مع كل من يقف في طريقه . في البداية اعترضه حاجب القاضي وحارسه ..

سأله الحاجب : إلى أين تذهب يا جحا ؟

قال جحا : ذاهب إلى القاضي بشكوى .

قال الحاجب : أمر القاضي ألا يدخل عليه أحد .. إنه مشغول .

صرخ جحا حانقاً : ما معنى مشغول ؟ هل تظن أنني جئت ألعب مع القاضي ! إنني بالنسبة إليه شغل .

لقد أحضرت إليه قضية .. لقد سرق اللصوص حماري .

أمسك الحارس جحا يحاول منعه من الدخول ، وأمسك جحا ملابس الحارس ، وقامت معركة بالكلام بينهما ، وراح جحا يرفع صوته على صوت الحارس والحاجب ، حتى شوشر على القضاة ومنعهم من التفكير ، وقام رئيس القضاة من مكانه وذهب إلى الباب وفتحه وقال :

ماذا يحدث .. ما هذه الضجة ؟

قال جحا : يا رئيس القضاة .. إن حظي عظيم لأنك هنا . لقد سرق اللصوص حماري .. وقد جئت إليك طالباً أن تحضر لي النقود أو تحضر لي الحمار !!





قال القاضي : هل جننت يا جحا .. ما هو اختصاصي بما تقوله ؟؟ لماذا لا تذهب إلى الشرطة ؟

قال جحا : كانت الشرطة تتفرج على اللصوص ..

قال القاضي : أنت أحمق يا جحا .. نحن اليوم في حاجة لرجل حكيم ..

قال جحا : خذوا الحكمة من أفواه الحمقى والمجانين ، رب أحمق ينفعك حيث لا ينفع الحكيم .

قال القاضي : ادخل يا جحا ولتقل لنا رأي الحمقى ما دامت الحكمة لا تستطيع أن تصل إلى قرار ..

دخل جحا قاعة الاجتماع فوقف بينما جلس القاضي ..

قال رئيس القضاة وهو يقدم جحا للقضاة والعلماء :

ـ هذا هو جحا .. أنتم تعرفون جحا ..

ابتسم القضاة والعلماء حين تذكروا نوادر جحا وتصرفاته الغريبة .

لم ينتظر جحا طويلاً ، لم يكد يستقر به المقام داخل قاعة الاجتماعات حتى بدأ يشرح قضيته .

قال : أيها السادة القضاة .. لقد سرق مني ثمن الحمار في السوق .. لن أحدثكم عن الحمار الذي دعت عليه والدته ودعت له .. كل ما أقوله لكم أنني ذهبت أشتري الحمار فعدت بغيره .. وللعلم أيها السادة ، ليست هذه هي المرة الأولى التي يسرق فيها اللصوص نقودي أو حماري .. لقد سرق مني اللصوص ثلاثة حمير ، وسرقوا مني نقوداً كنت سأشتري بها حمارين ، أي أنني خسرت خمسة حمير حتى الآن .

قال رئيس القضاة : أنت مهمل يا جحا .



قال أحد القضاة : لا شك أنك فعلت ذنباً فعاقبك الله بسرقة حميرك .

قال قاضٍ آخر : لا شك أنك أحمق لأنك مكنت اللصوص من سرقتك ..

قال جحا : أنتم تلومونني ، وكان يجب أن تلوموا اللصوص ، أم أن اللصوص في رأيكم لا ذنب عليهم !؟

ضحك القضاة ثم قال رئيسهم لجحا : ماذا تريد الآن ؟

قال جحا : أُريدُ حماري الذي سرق اللصوص نقوده من جيبي .

قال رئيس القضاة : نحن على استعداد لأن نحل لك قضيتك إذا حللت لنا القضية التي حيرتنا ..

قال جحا : قبلت شروطكم قبل أن أعرف قضيتكم .. ما هي قضيتكم ؟

قال رئيس القضاة : هل سمعت عن تيمورلنك يا جحا ؟

قال جحا : سمعت عنه .. أليس هو القائد الذي فتح بلادنا بحد السيف ؟

قال رئيس القضاة : نعم ..

قال جحا : هذا رجل ظالم يقتل العلماء .

قال رئيس القضاة : نعم ..

قال جحا : ماذا تريدون منه ؟



قال رئيس القضاة : نريد أن تذهب إليه بوصفك آخر من بقي من العلماء .. ستقدم نفسك إليه بوصفك أحكم الحكماء .. وعليك أن تقنعه أن يتوقف عن قتله للعلماء.

قال جحا وهو يتراجع فزعاً : سيقتلني تيمورلنك .. إنه يقتل العلماء كما تقولون ..

قال رئيس القضاة : اهدأ يا جحا .. إن تيمورلنك يقتل العلماء فهل أنت من العلماء لتخشى على نفسك ؟

قال جحا : لست من العلماء ..

سأل القاضي : ألست من الحمقى ؟

قال جحا : أعتقد ذلك .

قال القاضي : انتهى الأمر .. لا خوف عليك من تيمورلنك ..

قال جحا : لقد وافقت على الذهاب .. أريد حميري الخمسة التي ضاعت مني أو سرقها اللصوص ..

قال أحد القضاة : قبل أن نعطيك حميرك التي سرقت ، نريد أن نمتحنك .. حتى نعرف إن كنت تستطيع التصرف أم لا ..

قال جحا : إنني رهن إشارتكم .. تفضلوا بامتحاني .

سأله أحد القضاة : يا جحا .. ذهب رجل جائع ومعه رغيف إلى دكان يشوي اللحم ، ووقف يأكل رغيفه على رائحة الشواء ، أمسكه صاحب الدكان ويريد منه ثمن رائحة الشواء .. كم يعطيه ؟

سكت جحا قليلاً ثم قال : هذه قضية معقدة ، ولكنني سوف أحلها على النحو التالي : يخرج الرجل الفقير نقوده من جيبه ويرنها أمام صاحب الدكان .. يسمع صاحب الدكان صوت رنينها فيكون هذا ثمن رائحة الشواء ..

كان القضاة قد فكروا في هذه القضية ولكن أحداً لم يحلها .. ودهشوا لإجابة جحا .

عاد القاضي يسأله : لماذا حكمت هكذا يا جحا ؟

قال جحا : إن الرجل الفقير لم يأكل شيئاً من اللحم .. إنما أكل بأنفه .. شم الرائحة .. ومن العدل أن يقبض صاحب الدكان بأذنه .. فيسمع صوت النقود ولا يأخذها .. أي أن صوت النقود هنا هو ثمن رائحة الشواء ..

أمر القضاة جحا أن يخرج من القاعة ليتداولوا في أمره .. خرج جحا فجلس مع الحاجب والحارس واشترى عوداً من القصب وجلس يمصه بسعادة .

خلا القضاة لأنفسهم ، وقال رئيسهم :

ـ لقد حل جحا مشكلة قضية قديمة فشلنا في حلها ..

قال أصغر القضاة : إن عقله يعمل بطريقة غريبة .. أحياناً يكون حاد الذكاء ، وأحياناً يتسكع مثل حمار بليد ..

قال أكبر العلماء سناً : أعتقد أن أحداً لن يوقف تيمورلنك عند حدوده سوى جحا .. وعلى أي حال .. إذا قتله تيمورلنك فسيكون جحا قد ضحى بنفسه بدلاً منا ..

قال كبير القضاة : اتفقنا .. سيذهب جحا إلى تيمورلنك باعتباره آخر من بقي من العلماء .. استدعوا جحا ..

استدعى الحاجب جحا فجاء ..

قال له رئيس القضاة : يا جحا .. لقد وافقنا على أن تذهب إلى تيمورلنك .. هل أنت مستعد ؟

قال جحا : ليس قبل أن آخذ حميري الخمسة ..

قال رئيس القضاة : هناك عشرة حمير للقضاة .. اختر لك خمسة حمير منها وتوجه إلى تيمورلنك .. سنكتب لك كتاباً بأنك آخر من بقي من علماء المملكة ..

خرج جحا سعيداً إلى حيث تقف حمير القضاة ..

وراح يتمشى بين الحمير ويتأمل برادعها وسروجها الجميلة .. واختار جحا أجمل خمسة حمير .. واختار أجمل خمسة برادع ووضعها فوق الحمير التي اختارها .. ووقف القضاة ينظرون إليه وهو يسحب الحمير ويأخذها معه .

أعطاه رئيس القضاة خطاباً إلى تيمورلنك ..

وسار جحا .. ترك القضاة وبدأ يتجه إلى المدينة التي يعيش فيها تيمورلنك .





ركب جحا حماراً من الحمير الخمسة وسارت حوله الحمير الأربعة ..
كان جحا سعيداً لأنه قد حصل على حميره أخيراً .. وفكر جحا أن يعد الحمير ..
فعدها فوجدها أربعة .. نسي أن يعد الحمار الذي يركبه ..
قال جحا في نفسه : كانت الحمير خمسة .. لماذا نقصت واحداً .. هل سرق اللصوص
واحداً من الحمير أم ماذا ؟
نزل جحا من فوق الحمار ووقف يعد الحمير فوجدها خمسة .. اطمأن وركب حماره ..
عاد يعد الحمير فوجدها أربعة .. ونزل من فوق حماره وعد الحمير فوجدها خمسة ..
قال جحا في نفسه : إن هناك حماراً ناقصاً إذا ركبت .. لا داعي للركوب إذن ..
أمشي وأوفر حماراً بدلاً من أن أركب وأخسر حماراً ..
ونزل جحا من فوق حماره وسار جوار الحمير الخمسة .. كان يعدها فيجدها خمسة ..
ومضت ساعات وجحا يسير .. قابله أثناء سيره رجلان من تجار الحمير ..
قال له أحدهما : إلى أين تذهب بهذه الحمير يا جحا ؟
قال جحا : هذه حميري وأنا حر أذهب بها إلى حيث أشاء ..
قال الرجل الثاني : لماذا غضبت يا جحا ؟ نريد شراء حمارين من حميرك ..
قال جحا : لا يمكن بيع أي حمار من هؤلاء ..
سأله الرجل الأول : لماذا يا جحا ؟
قال جحا : هؤلاء الحمير تلاميذ في مدرسة الحمير المشتركة .. وأنا أعلمهم وأربيهم
وأنوي أن أردهم لأهلهم في نهاية السنة الدراسية .. دعوني أسير ..
تركه الرجلان يسير فسار جحا حتى وصل إلى خان يعرف صاحبه .
رحب صاحب الخان بجحا وربط حميره الخمسة في الاسطبل الملحق بالخان ..
وجلس جحا يتعشى مع صاحبه ..
سأله صاحب الخان : إلى أين أنت ذاهب يا جحا ؟
قال جحا : ذاهب إلى تيمورلنك ..
شحب وجه صاحب الخان وسأله : لماذا ؟
حكى له جحا قضيته مع القضاة والعلماء ، وكيف اختاروه ليمثل دور آخر العلماء ..
قال له صاحب الخان : يا جحا .. لقد ضحك عليك القضاة والعلماء كما ضحك
عليك اللصوص ..
لقد كان اللصوص أقل اضراراً بك من القضاة والعلماء .. سرق اللصوص نقودك ،
ولكن ما فعله القضاة سيؤدي إلى سرقة حياتك وقطع رقبتك .



وضع جحا يده على رقبته وتحسسها وقال : كيف يقع ذلك ؟

قال صاحب الخان : سيقتلك تيمورلنك يا جحا .. لقد قتل كثيراً من العلماء حتى الآن .

قال جحا : لست عالماً .. وهناك احتمال أن أنجو من تيمورلنك ..

قال صاحب الخان : أيها الأبله .. إذا كان يقتل العلماء فكيف لا يقتل الحمقى ؟

قال جحا : ربما يكون تيمورلنك أحمقاً ..

قال صاحب الخان : بل أنت الأحمق .. إن رأيي أن تهرب بجلدك .. وتعود إلى القضاة وترد إليهم حميرهم وتخبرهم إنك عدلت عن رأيك .

قال جحا : لا يمكن أن أفرط في الحمير الخمسة التي أملكها الآن ، غداً أذهب إلى تيمورلنك .

غداً أقف أمامه وألعب بعقله كما يلعب الصبيان بالكرة ..



مطابع الشروق

بيروت: مار الياس - شارع سيّدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيًا: داشروق - تلكس LE ٢٠١٧٥ SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤